بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

خطبــتي الجمعة بعنوان:

وعاشروهـن بالمعـروف

فضيلة الشيخ سليمان الرحيلي وفقه الله

يوم الجمعة الموافق 24 من ربيع الأول 1446هـ

بمسجد قُباء بالمدينة النبوية

خطبة بعنوان: وعـاشروهن بالمعروف فضيلة الشيخ سليمان الرحيلي –حفظه الله–

الخطبــة الأولــى

الحمد لله الذي أطعمنا من جوعٍ، وأمننا من خوف، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يأمر بالعدل والإحسان والعشرة بالمعروف، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفه ربُّه بالخلق العظيم فنِعمَ الوصف ونِعمَ الموصوف، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن استنَّ بسُنَّته عدد الكلمات والحروف.

أمَّا بعدُ فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإن من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، ومن لاذ ببابه ذاق السعادة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: 1].

عباد الله إن ديننا دين الفطرة ما منع من شيء تقتضيه الفطرة، لكن هذَّبه بما يليق بكرامة الإنسان؛ ومن ذلك أن ربنا خلق في الإنسان ذكرًا كان أو أنثى شهوة ولم يمنعه من قضائها، ولكن هذَّب ذلك بما يليق بكرامة الإنسان، قال ربُّنا **سبحانه:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿5﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿6﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[المؤمنون: 5-7].

فجعل الله **عز وجل** طريق قضاء الشهوة الزواج وملك اليمين، ومنع من كل طريق غير ذلك وعدَّه عدوانًا محرَّمًا، فربُّنا **سبحانه** شرع لنا الزواج وجعله ميثاقًا غليظًا: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[النساء: 21]، قال نبيُّنا ﷺ: **((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة**

فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج)) وقال ﷺ: **((النكاح من سُنَّتي ومن لم يعمل بسُنَّتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة))**، وربُّنا **سبحانه وتعالى** جعل لنا من آياته الدالة على قدرته وعلى تدبيره ورحمته أن جعل للرجال أزواجًا من أنفسهم؛ حيث خلق أمَّنا حوَّاء من ضلع أبينا آدم ليعلم الرجل أن زوجته إنما هي قطعة منه ليعطف عليها ويرحمها، ويحفظها كما يحفظ أعضاءه، وجعل ربُّنا في الزواج للرجل سكنًا إلى المرأة يألفها، ويرتاح إليها، ويرتاح بها، وجعل في الزواج مودة ورحمة بين عائلة الزوجين وبين الزوجين.

فالزواج يا عباد الله: حبال من المودة واصلة، ومودة بين الزوجين حاصلة، قال ربنا **سبحانه**: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[الروم: 21].

إن ربَّنا **سبحانه وتعالى** جعل الزواج سكنًا، وجعله يقوم على المودة والرحمة، وجعل للعشرة بين الزوجين قاعدة عظيمة شريفة لو طبقها الناس لعاش الأزواج في سعادة وباتت البيوت مطمئنة؛ فقال **سبحانه** ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[النساء: 19]، وقال **سبحانه**: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[البقرة: 228]، والمعروف هنا يا عباد الله: يراد به أمران:

الأمر الأول: ما ترتاح إليه النفوس، وتطمئن به القلوب من الكلام الطيب، والفعل الحسن.

والأمر الثاني: ما جرت به عادة الأخيار في عشرة الأزواج يا عباد الله، فيُعاشر الرجل امرأته بالمعروف، وتُعاشِر المرأة زوجها بالمعروف، ورأس ذلك أن يُبنى البيت على التعاون على الأعمال الصالحة، ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾[النحل: 97].

وإذا رأى أحد الزوجين في الآخر نقصًا في خلقته، أو في جماله، أو في خُلُقه من غير انحراف إلى ارتكاب الفاحشة؛ فإنه لا يعجل بكرهه وبغضه ولا يسارع إلى الطلاق، بل يعالج ذلك في نفسه بأن يتفكر في نفسه هو فكما أن في الطرف الآخر نقصًا فإن فيه نقصًا ولا بد، كما يتفكر في الطرف الآخر إن كان فيه نقصًا يكرهه فلا بد فإن فيه شيئًا يحبه، قال النبي ﷺ: ((**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**))، يقول الزوج لنفسه: لعلي إن صبرت عليها جعل الله لي فيها خيرًا كثيرًا، وفتح لي من أبواب الخير ما لا أحتسب؛ ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[النساء: 19]، فما يدري لعل الله أن يجعلها سببًا لسعة رزقه! ما يدري لعل الله أن يجعلها سببا لأولاد صالحين بارين تقرُّ بهم عينه وتطيب حياته!

إني لأدعو المسلمين جميعًا إلى تعلم عشرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزوجاته، وهو لنا أسوة حسنة، ووالله ثم والله ثم والله، لو أن الناس في بيوتهم عملوا بسنة النبي ﷺ في عشرته لزوجاته لطابت البيوت وحلَّت السعادة في البيوت.

كان حبيبنا ونبينا ﷺ زوجًا هيِّنًا ليِّنًا سهلًا، إذا هويت زوجته شيئًا غير حرام ولا مفسدة مال إليه ﷺ ، وكان ﷺ يكون في بيته في مهنة أهله، يساعد أهله ﷺ ، وكان ﷺ حسن العشرة حسن التعامل، يعالج الإشكال بأبسط طريق وأيسره،.

((**كان رسولنا ﷺ في بيت إحدى زوجاته وعنده أناس، فأرسلت إحدى زوجاته إليه طعامًا في صحفة، فغارت التي هو في بيتها فضربت الصحفة من يد الغلام، فوقعت وانكسرت وانتثر الطعام، فما كان من نبينا ﷺ إلا أن قام وجمع الصحفة، وأخذ يجمع الطعام، ويقول للناس: غارت أمكم غارت أمكم**))

ما سبَّها، ما شتمها، ما قهرها بل ذكر للناس عذرها حتى لا يظنون بها ظنًّا ﷺ ما ألطفه! وما أحسن عشرته!

((**كان ﷺ قد تجاوز الخمسين وربما قد تجاوز الخامسة والخمسين، فخرج مع الجيش في مسير ومعه زوجته عائشة، فقال للجيش: تقدموا تقدموا، فلما غابوا عنه وبقي هو وأمنا عائشة رضي الله عنها قال لها: تعالي أسابقك، فسابقها ﷺ فسبقت، فلما مرت سنون خرج النبي ﷺ في الجيش ومعه أمنا عائشة رضي الله عنها، وكان ﷺ ربما كان في الستين، فقال للجيش: تقدموا تقدموا، ثم قال لأمنا عائشة رضي الله عنها: تعالي أسابقك فسابقها فسبقها، فقال ﷺ: يا عائشة هذه بتلك**))، هذه طريقة نبينا ﷺ.

وكان يظهر حبه لزوجاته؛ فسئل ﷺ: ((**من أحب الناس إليك؟ فقال: عائشة. قالوا: فمن الرجال؟ قال: أبوها**))، لم يقل أبو بكر **رضي الله عنه**، وإنما قال: أبوها تكرمة لزوجه عائشة **رضي الله عنها وأرضاها**.

ألا فاتقوا الله عباد الله واقتدوا برسولكم ﷺ، واعلموا أن الزوجة أمانة عند زوجها، وهي وصية رسولِ الله ﷺ، فقد قال النبي ﷺ: ((**استوصوا بالنساء خيرًا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**))، وفي رواية: ((**اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**))، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبــة الثانيـة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، **أمَّا بعد فيا عباد الله:** إن الحياة الزوجية لا تخلو من منغصات ومكدرات وشيء من المشاكل؛ فينبغي على الزوجين أن يعالجا المشاكل بينهما بالطريقة الشرعية، وذلك بأن تحدث الزوج إلى زوجته والزوجة إلى زوجها بعقل وحكمة حتى تحلَّ المشكلة، فإن أبت الزوجة إلا نشوزًا وإعراضًا وعدم طاعة؛ فإن الزوج يعظها ويذكرها بحقه، ويذكرها بالمصير إلى الله **سبحانه وتعالى**، فإن أبت الزوجة إلا نشوزًا وإعراضًا؛ فإنه يهجُرُها ولا يهجر إلا في البيت ويتدرَّج في الهجر، قال العلماء: يبدأ بهجر وجهها في الفراش فيعطيها ظهره على فراش واحد.

فإن لم ينفع ذلك؛ يعتزل فراشها ويهجر فراشها في نفس الغرفة فينام على فراش آخر.

فإن لم ينفع ذلك؛ يهجر غرفتها وينتقل إلى غرفة أخرى ولا يهجر في غير البيت؛ إلا إذا كان الهجر لعدد من الزوجات فإنه يعتزلهن في مكان كما فعل النبي ﷺ مرة.

فإن أبت الزوجة وأبت إلا إعراضًا ونشوزاً؛ فإنه يضربها ضربًا لا يقصد منه الإيلام، ولا يُقصد منه الإهانة، ولا يجرح جسدًا، ولا يكسر عظمًا، ولا يُهين ولا يلطم وجهًا؛ وإنما يضربها ضربًا يظهر لها به أنه قد بلغ الغضب منه مبلغًا عظيمًا، قال السلف: يضربها بطرف ثوبه، أو بمسواكه هذا المقصود بالضرب، ليس المقصود بالضرب يا عباد الله: ضرب الوجه، وكسر العظم، وجرح الجلد، وضرب الرأس في الحائط، وغير ذلك من أنواع الضرب؛ فإن هذا لم يأذن به الله **سبحانه وتعالى**، وإنما هو ضرب يسير يظهر الغضب فقط.

فإن أبت الزوجة لم تحل المشكلة؛ فإنهما يجعلان بينهما مصلحًا ناصحًا حكيمًا.

فإن لم تحل المشكلة؛ فإنهما ينتدِبان حكَمًا من أهله وحكَمًا من أهلها ليحكما بينهما.

فإن أشكلت المسألة وكانت المشكلة عظيمة ولم يمكن تجاهلها ولا التغاضي عنها وكان لا بد من الطلاق؛ فإن الطلاق إذ ذاك يا عباد الله يكون بإحسان ولا تكون فيه إساءة.

ثم تأتي القاعدة الشرعية بعد الطلاق: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة: 237]، إذا حصل الطلاق فإياكم أن تنسوا الفضل بينكم! والفضل هنا يا عباد الله: هو الأولاد والعشرة السابقة، إياك أيها الزوج إن طلقت المرأة أن تتكلم عنها بما يؤذيها ويؤذي أولادك! وإياك أيتها المرأة إن حصل الطلاق أن تتكلمي عن زوجك بما يؤذيه ويؤذي أولادك! ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

واعلموا عباد الله: أن من الكبائر أن تطلب المرأة الطلاق من غير سببٍ معتبر، قال النبي ﷺ: ((**أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس فحرامٌ عليها رائحةُ الجنة**))، كما أنه لا يجوز للمرأة أن تطلب طلاق امرأة أخرى قال النبي ﷺ: ((**ولا تسأل المرأة طلاقَ أختها لتكفأ ما في إنائها**)).

عباد الله: إن الطلاق حل أخير للمشكلة وليس استيرادًا للمشكلة، عباد الله ينبغي على الرجل قبل أن يطلق أن يفكر كثيرًا، وقد كان السابقون منَّا يفكرون قبل الكلام، فما كنا نسمع بالطلاق إلا قليلًا، واليوم نجد كثيرًا من الرجال يطلقون ثم يفكرون ويبحثون على الحلول؛ ولذلك كثر الطلاق في زماننا.

ألا فاتقوا الله معاشر الرجال وحافظوا على بيوتكم لعلكم تفلحون، وصلوا وسلموا على نبيكم ﷺ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، اللهم وارض عنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أنزل السعادة والطمأنينة والسكينة والرحمة والبركة في بيوتنا يا رب العالمين، اللهم اجعل بيوتنا مباركة، اللهم اجعل بيوتنا مباركة، اللهم اجعل بيوتنا مباركة، اللهم اجعل بلادنا آمنة، اللهم اجعل بلادنا آمنة،

اللهم اجعل بلادنا آمنة، وزد جماعتنا قوة، وزدنا ألفة ومحبة، وبارك لنا في ولاة أمرنا، واجعلنا ممن يحبون ولاة أمرهم، ويحبهم ولاة أمرهم يا رب العالمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.

----------♦♦♦♦♦----------